إسرائيل أيضاً دولة على طريق الكيان. والقائمون على إدارة أمورها ومفكروها يعون ذلك. فالمجتمع اليهودي الذي تلمام في فلسطين عبارة عن خليط لبيئات مختلفة، تعمل الدولة، بأدواتها، لصهره وصياغته وفق الرؤيا الصهيونية لمجتمع اليهود المستقبلي. ويشكل الخوف، أو التخويف، عاملاً مهماً في دفع هذا الخليط إلى **التكاتف** وليس **التلاحم**، واللجوء إلى العدوانية (استباق الخصم)؛ إذ أن إسرائيل، ككيان، لاتستمد وجودها من الواقع «فإسرائيل هي الوحيدة بين الدول التي ظهرت في الخمسين عاماً المنصرمة والتي لا تستمد من الحقيقة، بل من الفكرة، وليس من الوضع الواقعي بل من أمل اليهود وايمانهم»[٨]. ويشكل توفير أسباب القوة الجهد الرئيس لهذه الدولة التي ترفع شعاري «الأمن» و «دم اليهودي غير مباح»، وعند حديث قادتها عن السلام يُطرح شعار «سلام القوة». وكما قلنا سابقاً، بقازها مرهون بنفي الشعب الآخر (الفلسطيني). وهي تبدع في هذين المجالين، القوة والعمل على تغييب الفلسطينيين.

في ضوء ما تقدم من عرض، يدور صراع على الوجود بين الشعب الفلسطيني والاسرائيليين، على الأرض وفي الشتات، تحاول فيه إسرائيل بشكل مباشر، وعبر دفع الدول العربية أيضاً، بالحرب وبالدبلوماسية، العمل على انهاء المشكلة الفلسطينية كقضية سياسية، وحلها كمشكلة انسانية (التوطين)، ويحاول الفلسطينيون دفع الدول العربية واسرائيل والعالم، أيضاً بالحرب وبالدبلوماسية، إلى حل المشكلة الفلسطينية باعتبارها مشكلة سياسية، وحل مشكلة اليهود باعتبارها مشكلة انسانية ولّدتها النازية (مشروع الدولة الديمقراطية).

أدار الاسرائيليون صراعهم ضد الشعب الفلسطيني من منطلق ان مصلحتهم الكيانية، ومصلحة الكيانات العربية، تقضي بالحفاظ على «الهدوء والاستقرار» في المنطقة. ولذا، منذ حرب ١٩٦٧ وما بعدها، كانت ذريعة اسرائيل في هجماتها وحروبها ضد الكيانات العربية المجاورة هي ايواء منظمات المقاومة الفلسطينية والسماح لها بالعمل من أراضيها. وما زالت هذه الذريعة مستخدمة (آخر العمليات العسكرية الاسرائيلية، تحت هذه الذريعة، الغارة على تونس في ١/١٠/١٩٨٥). وبهذا دفعت اسرائيل الأنظمة العربية لتقييد حركة المقاومة الفلسطينية، ووصل الأمر، في احيان كثيرة، إلى استخدام القوة العسكرية ضدها، ويمكن تسجيل ذلك كنجاح للعسكرية الصهيونية في «تعريب» الصراع. وما كان ذلك متيسراً لو لم يكن لتلك الانظمة مصلحة في «تعريب» هذا الصراع. وقد ارتبطت حروب العرب ضد الفلسطينيين ببروز إمكانات للتسوية مع إسرائيل برعاية اميركية (من مشروع روجرز إلى مشروع ريغان). فحسب ما هو متداول في أوساط الادارات الأميركية المتعاقبة «ان موضوع التطلعات الوطنية الفلسطينية يجب ان يوضع جانباً عند صوغ أي تسوية للمشكلة العربية - الاسرائيلية، لأن هذه التطلعات تُغذى بصورة مصطنعة وخبيثة»[٩].

ادارت حركة المقاومة الفلسطينية، قبل وبعد سيطرتها على منظمة التحرير الفلسطينية، صراعها مع إسرائيل انطلاقاً من منطق وجوب تحريك «الركود العربي»، وكما يقول صلاح خلف (أبو إياد): «كنا نسعى إلى اخراج عمل صارخ مذهل يصعق مخيلة الاسرائيليين الذين كنا نريد أن نبلغهم وندلل لهم على وجودنا كفلسطينيين يسعون إلى تدعيم ارادة الصراع بصورة مستقلة استقلالاً ذاتياً عن الانظمة العربية التي قذفنا في وجهها هذا التحدي». واخيراً